بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعلى

وهي سورة مكية، حيث يقول سبحانه وتعالىٰ:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

أولًا: هذه سورة كان يحبها النبي ﷺ؛ وذلك لكثرة ما احتوت عليه من الخيرات، كما قال الإمام النووي رحمه الله.

ثانيًا: كان النبي ﷺ يقرؤها في صلاة الوتر، فكانت تقول السيدة عائشة رضي الله عنها، حيث سئلت: بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت: كان يقرأ ﷺ في الأولى بـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]

وفي الثالثة بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين.

ثالثًا: لمَّا نزلت هذه السورة قال ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**».

رابعًا: معنىٰ هذه الآيات: نزه ربك عما لا يليق به، فهو سبحانه ﴿الْأَعْلَى﴾ صاحب العلو والقهر والغلبة.

هو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّىٰ﴾ خلقه علىٰ إحكام وإتقان.

﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الَّذِي قَدَّرَ﴾ لكل مخلوق ما يصلحه ﴿فَهَدَىٰ﴾ وأرشد إلىٰ وجوه النفع والإفادة.

﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ من جميع صنوف النباتات والمزروعات،

خضرًا ناضجًا من الأرض ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بقدرته بعد ذلك ﴿غُثَآءً﴾ هشيمًا ضعيفًا بعد تماسكه ﴿أَحْوَىٰ﴾ يابسًا بعد طراوته.

أفلا يستحق ربنا سبحانه التسبيح؟

حقًّا: (سبحان ربي الأعلىٰ) وتنزَّه وتعالىٰ عما لا يليق بذاته.

وبعد هذا البيان لهداية الله العامة لكافة خلقه: يأتي البيان الواضح لهداية الله الخاصة لمحمد ﷺ، حيث يقول الله عز وجل:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ ما نوحيه إليك علىٰ لسان جبريل من آياتنا ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ منها شيئًا، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أن ينسخه، فلا نبقيه في حفظك، لأن الرسول ﷺ كان يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام؛ مخافة النسيان!!

فقد قال له ربه عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة ١٦ ـ ١٨]

وكان ذلك من الله تعالىٰ، حيث ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ من القول والفعل، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما على المخلوقات.

﴿و﴾ سوف ﴿نُيَسِّرُكَ﴾ ونوفقك، ونسهل عليك العمل بالشريعة السمحة السهلة ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾. لذلك:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد وعظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وإن لم تنفع، حيث إنه ما عليك إلَّا البلاغ.

وعلىٰ كل حال: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ وينتفع بهذه التذكرة ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله ويخافه سبحانه.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ فيبتعد عنها، ولا ينتفع بها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ وهو الكافر ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى﴾ يدخل ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهي نار جنهم، حيث إن الصغرىٰ: هي نار الدنيا.

﴿ثُمَّ﴾ بعد أن يدخلها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة خالية من العذاب.

وأما مَن ينتفع بالذكرىٰ، فيقول عنه ربه جل وعلا:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

حقًّا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ وتطهرَّ بالإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، ﴿وَذَكَرَ﴾ في كل أحواله ﴿ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ معظِّما له ﴿فَصَلَّىٰ﴾ وسبَّح الله ونزَّهه سبحانه.

ولكن!! ما دامت التزكية للأخلاق، والتذكر لله في جميع الأحوال، والصلاة طريق الفوز والفلاح!! فلِم ينصرف عنها الناس ؟ وما السبب في ذلك؟ يقول ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾

أي ﴿بَلْ﴾ أنتم ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ تفضلون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وما فيها من زخرف فانٍ علىٰ الآخرة، وما فيها من نعيم باق لا يزول.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ وما فيها لو كنتم تعقلون ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ من الدنيا وما فيها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الفلاح لمن تزكى، وخيرية الآخرة ودوامها ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ مسجل وموجود، وموحىٰ به إلىٰ الرسل السابقين، ومنهم ﴿... إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية

وهي سورة مكية، وكان النبي ﷺ يقرأ بـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وهذه السورة في صلاة العيد، ويوم الجمعة.

وهي: تبدأ بهذا السؤال من الله عز وجل:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾

والمعنى: قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وهي يوم القيامة، التي تغشى الناس جميعًا وتعمُّهم بأهوالها، فماذا أعددت لها؟

وهذه أحوال الكافرين فيها:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

نعم، لهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إذا غشيت الناس الغاشية، ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة من الخزي والهوان.

﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدنيا بالمعاصي ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ في الآخرة، ومتعبة من العذاب والهلاك.

حيث ﴿تَصْلَىٰ﴾ تدخل ﴿نَارًا﴾ حارة شديدة الحرارة ﴿حَامِيَةً﴾، فإذا ما عطشت: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ﴾ من ماء ﴿آنِيَةٍ﴾ انتهى حرّها، واشتد غليانها.

هؤلاء ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾ في هذه النار ﴿إِلَّا﴾ طعام ﴿مِن ضَرِيعٍ﴾ وهو الزَّقُّوم، الذي هو سم قاتل.

وهذا الطعام: عديم الفائدة، حيث إنه ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

وأما المؤمنون، فهذه بعض أحوالهم:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

نعم، لهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إذا غشيت الناس الغاشية ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: منعَّمة ﴿لِّـ﴾ ثواب ﴿سَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ سعيدة في الآخرة.

وهي ـ أي أصحاب هذه الوجوه ـ مقيمة ﴿فِي جَنَّةٍ﴾، هذه الجنة: موصوفة بهذه الصفات:

أولًا: ﴿عَالِيَةٍ﴾ حسًا ومعنًا.

ثانيًا ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ هذه الوجوه ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي كلمة لغو.

ثالثًا: ﴿فِيهَا﴾ أي هذه الجنة ﴿عَيْنٌ﴾ أي: عيون بالماء ﴿جَارِيَةٌ﴾ لا تنقطع أبداً.

رابعًا: ﴿فِيهَا﴾ أي هذه الجنة ﴿سُرُرٌ﴾ أي: أسرة ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ الذات والقدر والمحل.

خامسًا: ﴿و﴾ فيها ﴿أَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ علىٰ حواف هذه العيون الجارية، معدة لشربهم.

سادسًا: ﴿و﴾ فيها ﴿نَمَارِقُ﴾ أي: وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بشكل يسعدهم الجلوس والاتكاء عليها.

سابعًا: ﴿و﴾ فيها ﴿زَرَابِيُّ﴾ بسط: جمع بساط، ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ منثورة في أماكنها بشكل يسعد العين ويريح النفس.

هذه هي الغاشية!! وتلكم أحوال الناس فيها من مؤمنين وكافرين!!

ألا يستدعي الأمر إعادة النظر مرات ومرات في ملكوت الله؛ بما يساعد علىٰ الإيمان به سبحانه، وزيادة الاعتبار بآياته، لذلك: يقول الحق سبحانه:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي: هلَّا ينظر الناس ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ ويعرفون ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ حيث إنها: خلق عجيب، وتركيبها غريب، فهي في غاية القوة والشدة، ومع ذلك تلين للحِملِ الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، ويؤكل لحمها، ويُنتفع بوبرها، ويُشرب لبنها، وبهذا: ألا يعتبرون فيؤمنون، أو يزدادون إيمانًا؟

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كذلك ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ حيث إنها: رفعت رفعًا بعيد المدىٰ، وكثرت نجومها كثرة هائلة، وتعددت كواكبها.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ﴾ أيضًا: ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؟

حيث إنها: راسخة لا تحيد وتضطرب بأهلها.

﴿و﴾ رابعًا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ حيث إنها: بسطت ومدت، ومهدت للحياة عليها.

أخيرًا: هل ينظرون؟ وهل يعتبرون؟ إذا حدث هذا، أو لم يحدث؟

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

أي: ﴿فَذَكِّرْ﴾ الناس يا محمد، ولا عليك من عدم إيمانهم ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ومبلِّغ فقط.

كما أنك ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ حتىٰ تلزمهم بالإيمان وتكرههم عليه.

﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ وأعرض عن الإيمان والعمل الصالح ﴿وَكَفَرَ﴾ بقلبه ولسانه: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ في جهنم.

حيث، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ﴾ بالموت، أو يوم القيامة ﴿إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ بعد رجوعهم إلينا ﴿حِسَابَهُم﴾ فلا يفلتون من عقابنا وعذابنا!!

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر

سورة مكية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾

يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء الخمسة، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء، فيقسم قائلًا: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ والمراد: فجر كل يوم.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وهي: العشر الأول من ذي الحجة.

﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ وهو: الزوج من كل شيء، ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ أي: الفرد كذلك من كل شيء.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يجري ويدور مقبلًا ومدبرًا.

ولكن، علام يقسم ربنا سبحانه بهذه الأشياء؟ يدل على الجواب: ما بعد هذه الآيات وهو: إن ربك ليحاسب ويعاقب ويثيب.

وليس الأمر سدًى كما يظن بعض الناس.

﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾

أي: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ﴾ القسم السابق بهذه الأشياء ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ أي: لذي عقل ينبهِّهم، ويدعوهم إلى طاعة الله وعبادته؟

الواقع أن كثيرًا من الناس لا ينتبهون، ولا يطيعون، بالرغم من تنبيه المولى الدائم، وتحذيره المستمر، على ألسنة رسله:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢﴾

ماذا فعل بهم؟ يقول ربنا عز وجل:

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾

حيث أهلك سبحانه عادًا قوم هود: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦، ٧].

كما أهلك ثمود قوم صالح بالرجفة: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

وكذلك أهلك فرعون وقومه، حيث يقول سبحانه:

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

حقًّا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

نعم، لا يفر من عقابه ظالم، ولا ينجو من عذابه طاغية.

لا يريد الله تبارك وتعالىٰ من الإنسان، إلَّا الطاعة، وأما الإنسان: فلا يهمه إلَّا العاجلة، ولا يشغله إلَّا زخرفها ومتاعها، لذلك: يكشف ربنا هذه الطبيعة، حيث يقول:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾

نعم، يخطيء الإنسان، حيث يفهم أن الاختبار بالنعم تكريم، وأن الاختبار بالمحن إهانة، والحقيقة: أن الأمر ليس علىٰ هذا النحو، فإن الله عز وجل يعطي الدنيا ومتاعها: مَن يُحب ومَن لا يُحب.

ولذلك: فالطاعة في الحالين ـ اليسر والعسر ـ هي المطلوبة، والإنسان لا يفهم ذلك.

بل هناك ما هو أشد خطأً من ذلك:

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

هذه صفات خسيسة، وأفعال ذميمة تؤدي بصاحبها إلىٰ الخسران، ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضًا. حيث يقول ربنا سبحانه:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

في يوم القيامة، ووسط هذه الأهوال الجسام: يتذكر الإنسان عمله، فيندم، ولكن ماذا يفيد الندم!! ماذا يقول؟

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾

الآن عرف أن الحياة الحقيقية: هي ما بعد البعث، لذلك: يتحسر، ويتمنىٰ لو كان قدم لهذا اليوم عملًا صالحًا غير الذي كان يعمل.

علىٰ أية حال:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

نعم، ليس هناك مَن يعذب عذابًا أشد من عذابه !! وليس هناك مَن يوثق ويُقيِّد في العذاب أشد من قيده!! يا رب نسألك السلامة، وحسن الختام.

ما سبق كان حديثًا عن الطغاة الظالمين، ومصيرهم، وما يحدث لهم، ولكن المؤمنين المتقين ـ جعلنا الله وإياكم منهم ـ علىٰ خلاف ذلك، يقول ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

يقول ربنا سبحانه للمؤمن عند الموت، وعند البعث، وعند الحساب: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بطاعة ربها.

﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ إلىٰ جوار ﴿رَبِّكِ﴾ وثوابه ونعيمه ﴿رَاضِيَةً﴾ بذلك ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنده.

﴿فَٱدْخُلِى فِى﴾ جملة ﴿عِبَٰدِى﴾ الصالحين، وكوني معهم.

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ خالدة مخلدة فيها.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلد

سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾

يقسم ربنا سبحانه وتعالىٰ ـ في صدر هذه السورة ـ بشيئين، وله سبحانه أن يقسم بما شاء، يقسم قائلًا:

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أقسم ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ وهي مكة المكرمة، شرفها الله.

كما يقسم قائلًا: ﴿وَوَالِدٖ﴾ أي: آدم عليه السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذريته من بعده.

وفي القسم بمكة: تشريف لها، وتعظيم، وتحريم. وفي القسم بآدم وذريته: تكريم له ولذريته، وإظهار لقدرته سبحانه عز وجل.

وأما عبارة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا﴾ فهي خطاب للحبيب ﷺ من ربه، ومعناه: أقسم بها وأنت مقيم فيها، وفي هذا: من التشريف للنبي ﷺ.

ولكن علام يقسم ربنا عز وجل بهذا القسم؟

الجواب: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾

نعم، لم نخلق هذا الإنسان عبثًا، ولم نخلقه بلا غاية، بل: خلقناه لمهمة ورسالة وتكليف، لذلك: فهو في معاناة، ومتاعب.

حقًّا: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد ويعاني مضائق الدنيا، وشدائد الآخرة؛ لينال ما يستحق عن جدارة واختيار.

ومع ذلك، فهو في قبضتنا:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

نعم، ﴿أَيَحْسَبُ﴾ هذا الإنسان، ويظن غرورًا منه، وفرارًا من المسؤولية ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وأن لن يحاسبه أحد؟

لذلك ﴿يَقُولُ﴾ غرورًا بماله، واعتدادًا بقوته ﴿أَهْلَكْتُ﴾ أي: أنفقت في حرب الدعوة، وصد الناس عن سبيل الله، وفي الشهوات ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ أي كثيرًا.

وهذا: هو الكافر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بقوله هذا، وفعله ذاك ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن أن الله غير موجود؟ أو غير قادر عليه، وعلىٰ عقابه؟ إن كان يظن ذلك عن قناعة!! فليسمع نداء الحق تبارك وتعالىٰ:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

حتىٰ يعرف قدرتنا عليه، وحتىٰ يبصر الحق الذي ندعوه إليه، وحتىٰ ينطق بالصدق والإيمان الذي يثاب عليه، وحتىٰ يختار طريق الخير من هذين ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ وهما طريق الخير، وطريق الشر، حيث هديناه، وبصَّرناه بهما، ومكنَّاه من سلوك ما يشاء منهما.

وبعد معرفته لقدرتنا عليه، وإنعامنا به، وإعلامنا له بالخير والشر!!

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾

أي: فهلَّا ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: جاهد نفسه بقوة العزيمة، وصدق الرغبة في طاعة الله، حتىٰ يتخطىٰ ويتجاوز هذه العقبة، التي تحول بينه وبين الإيمان الصادق.

ولكن!! ما هذه العقبة؟ إنها شيء عظيم يقول عنها ربنا معظمًا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾!!

ثم يبيِّنها عز وجل قائلًا: إنها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاق رقبة مسلم من ذل العبودية، أو المساعدة في ذلك.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: من الأقارب، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: في غاية الفقر.

وبعد هذا دوام على طاعة الله!! نعم:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

أي، صار من المؤمنين، العاملين، المتحابين، المتراحمين، الذين يتواصون فيما بينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين بعضهم البعض بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، الصبر على الشدائد والبلايا، والصبر في ساحات الجهاد.

حقًّا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾

أي: هؤلاء هم: أهل اليمين، الذين يؤتَوْن كتبهم بأيمانهم، والذين قال الله عنهم:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٨]

وأما الذين لم يقتحموا العقبة، ولم ينضموا للذين ﴿ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] فيقول عنهم ربنا عز وجل:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

أي: هؤلاء هم: أهل الشمال، الذين يؤتون كتبهم بشمالهم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة الأبواب، وهم الذين قال الله عنهم:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة٤١ ـ ٤٥].

نسأل الله السلامة، ونسأله سبحانه: أن نكون من أصحاب اليمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس

سورة مكية، تبدأ بهذا القسم:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾

يقسم ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآيات: بسبعة أشياء، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء، يقسم المولىٰ عز وجل قائلًا:

١ ـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ المنيرة ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ الدائم.

٢ ـ ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ جاء بعدها مباشرة.

٣ ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ أي: أظهرها.

٤ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ أي: يسترها، ويخفيها في الآفاق.

٥ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ أي: وبناءها المعجز.

٦ ـ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: بسطها، ومهَّدها للإقامة عليها.

٧ ـ ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وجعلها سوية الفطرة ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾ أي: فأفهمها وأعلمها ﴿فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ وبيّن لها هذا وهذا، وسهَّل لها طريق هذا وهذا!!

ولكن علام يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء؟

الجواب: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾

حقًّا، ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز برضوان الله، ونجا من غضبه سبحانه، ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ وطهَّرها ـ أي نفسه ـ وتعهدها بالتربية والرعاية، والإبعاد عن المعاصي.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أيضًا، وخسر وضاع منه رضوان الله، ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ ضيَّعها، وأبعدها عن ركب الهداية.

مَن الذي ضيَّع نفسه ودسَّاها، وجعلها تخسر كل شيء!!؟

يقول الله تعالىٰ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾﴾

نعم، هذه هي (ثمود) قوم صالح عليه السلام التي طغت في الأرض، وبغت علىٰ الناس، وقصتها ما يلي:

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ وهو واحد منهم، يوم أن قال ﴿لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام: هذه ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ التي طلبتم أن يُخرجها الله لكم من الصخر؛ آية وعلامة علىٰ صدقي في دعوى الرسالة لإنقاذكم، وهذا ﴿سُقْيَىٰهَا﴾ الذي بيَّنته لكم؛ حيث تشربون الماء يومًا، وتشربه هي اليوم الآخر، وتعطيكم لبنًا بقدره، ثم ماذا فعلوا؟

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ لا حول ولا قوة إلَّا بالله!! ولكن هذا شأن الطغاة، وبالتالي: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: ذبحوها، وهي آية الله، ونعمته لهم!! ولكن الذي ذبحها واحد منهم، وليسوا كلهم!! ولكنهم لم يمنعوه، بل رضوا فعله، فحق عليهم العذاب جميعًا، ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أي: هدَّم ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ جميعًا بلادهم وأهلكهم، وذلك ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ هذا، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ علىٰ هذا النحو الذي لم يغادر منهم صغيرًا ولا كبيرًا، دون هذا العذاب، وهكذا: تم إهلاكهم من القوي الجبار ﴿و﴾ هكذا ﴿لَا يَخَافُ﴾ سبحانه من أحد ﴿عُقْبَىٰهَا﴾ أي: تبعة، أو ملامة من أحد.

* * *